الروح الساهرة

بقلم حضرة الكاتب الاديب حنا افندي صاوه

كانت السماء مربدة والمطر يتساقط هتاناً فيصيب زجاج نوافذ غرفة من منزل في احد احياء باريس كان فيها خمسة عشر رجلا يتعاطون كؤوس الراح ويشربون نخب بعضهم

وكان القائد راعول دانتيفال وهو رب البيت قد دعاهم الى وليمة اقامها احتفالا بقرانه الذي سيعقد بعد عشرة ايام من هذا اليوم

وكان بين هؤلاء المدعوين راهب وقاض وكلهم عالمون بان راعول يحب خطيبته اشد حب وانه تعرفها منذ سنة ثم سعى حتى نال يدها

وكان مثريا فاثث منزله اثاثا جميلا

فبينا هم كما اشرنا انبأهم خادم بان المائدة هيئت

فشربوا كؤوسهم للمرة الاخيرة ثم اتجهوا نحو غرفة الطعام حيث جلسوا حول المائدة وطفقوا ياكلون وهم يتمازحون

وكان الليل قد ارخى سدوله وتبددت الغيوم فانكشفت السماء وظهر البدر والكواكب

فلما ان تركوا المائدة عادوا الى غرفة الاستقبال وجعلوا يدخنون ويتسامرون

غير انهم لم يلبثوا حتى كفوا بغته عن الحديث واصاخوا الى دوي صادر من الطريق ثم قال احدهم ما هذا

فاجاب القاضي انني اسمع صوت جرس فضي كالذي يحمله الرهبان متى كانوا ذاهبين لعيادة مريض اشرف على الموت. فقال الراهب وكأنني به قد وقف امام باب المنزل الخارجي فما معنى ذلك فنظروا الى بعضهم حيارى

وللحين ظهر خادم انبأ قائده بان بالباب راهباً يريد مواجهته فدهش وقال لعله ضال فقل له اننا غير محتاجين اليه

فصاح رفقاؤه بل دعه يدخل لنقف على امره فاطرق راعول هنيهة ثم قال للخادم حسن فقل له ان يأتي

فانصرف الخادم ولم يعتم حتى دخل الراهب وهو يقول عفواً يا احبائي اذا شوشت اجتماعكم ثم التفت الى راعول وقال أانت القائد راعول دانتيفال فاجاب نعم قال فاذن قد عثرت بضالتي فبهت راعول وقال مستفهماً ضالتك اجاب نعم لانني كنت ابحث عنك قال وما داعي ذلك قال هو مهمة انيطت بي قال ومن المنيط قال امرأة فصاح أامرأة تقول قال نعم وانت ستتزوج قال هذا عزمي قال حسن فهذه الامرأة قد ارسلتني اليك كي اسمع اعترافك فضحك المدعوون بيد ان راعول امسك عن الاقتداء بهم احتراماً لهيئة الراهب الرزينة الوقورة وقال ومن هذه الامرأة قال انك تريد ان تعرفها ولكنني قوبلت بما يلجئني الى عدم الاباحة بشيء قال ان اصدقائي ضحكوا لعلمهم بان لا صلة لي مع اية امرأة وانني اطلب اليك ان تخبرني بخبر من ارسلتك قال انني اجهل من هي وقد كنت محتفلا بقداس ثم هممت بالخروج من المعبد فتصدت لي سيدة مقنعة ومرتدية ثوباً ثميناً يزينه فرو وقالت لي اسرع وعرف ثم قرب القائد راعول دانتيفال القاطن بحي لافايت وان الامر تستدعي هذه السرعة لانني ابيت يائسة اذا مات بدون ان يتقرب. فدخلت

الى المعبد وحملت الكأس المقدسة ثم خرجت فرأيت السيدة لم تبرح مكانها فكأنها ظلت واقفة حتى تثق بقيامي بما طلبت . وكانت ازاحت قناعها فشخصت اليها متحققاً هيئتها فاذا هي ....

وفي هذه الهنيهة فتح الخادم باب غرفة اخرى فلاحت للراهب صورة كبيرة في الجدار تمثل امرأة غاية في الجمال

فصاح الراهب مأخوذاً ثم اشار اليها وقال فاذا هي تشبه هذه الصورة من كل وجه فدهش راعول وقال ان هذه الصورة لصورة امي قال فتلك السيدة كانت امك اذن فارتسمت آية الحزن على وجه القائد وقال ولكن امي ماتت منذ مدة فارتبك الراهب وظل محدقاً الى الصورة بدون ان يفوه بكلمة

فدفعه راعول داخل الغرفة ثم اوقفه ازاء الصورة وقال انظر . حقق هل كلامك حقيقي من حيث الشبه قال نعم يا ولدي ولا يوجد اقل فرق وان المصور قد اتقن رسم الفرو الذي اراه في الصورة لانه نفس الفرو الذي كان على كتفي من ارسلتني اليك فبهت راعول وتمتم قائلا انني وضعت هذا الفرو في تابوتها حين نقلها اليه فما هذه الحال يا الهي

وكان المدعوون قد اجتمعوا بباب الغرفة فقال لهم راعول ان الحادثة لغريبة يا سادة فاجابه احدهم ويدعى بريفوت انني اخال انها روحانية يا راعول قال سواء كانت روحانية او غير روحانية اصيخوا الي لاقص عليكم ذكرى ما برحت من بالي ولن تبرح منه قط

ماتت امي في نضارة عمرها وجمال صباها وكانت ترملت فخصتني بانعطافاتها كلها وكانت ورعة تقية تستجلي عواقب كل امر وتقرأ في ذهني ما كنت اريد فعله حتى انها كثيراً ما حذرتني من مشروعات كنت اعزم

على القيام بها فاعدل عنها والحق يقال انني اشعر منذ موتها بشدة فقري الى مثل هذا الارشاد

فقال بريفوت لعل كل ذلك كان يتهيأ لك تهيؤاً لانك كنت تحترمها احتراماً ما بعده احترام قال ربما فاسمع تتمة كلامي

وانني ذاكر قولها لي في آخر ساعة من ساعات حياتها وهو انني مفارقتك يا ولدي ولكن هذا الفراق ظاهري في الواقع اذ ان روحي الخالدة ستظل معك ساهرة عليك منقذة اياك من كل سوء ولما كنت لا ارغب في انك تعاني آلاما في هذا العالم فانني اطلب الى الله ان يدعوك الى علاه قبل وقوعك في مصيبة من مصائب الحياة . فاذا كانت والدتي ظهرت الراهب فعلا وارسلته الي فذلك لان غيوماً كثيفة تتجمع في سماء حياتي وستنقض منها صاعقة ولكنها لا تصيبني لانني لا اكون وقتئذٍ حياً

فقال بريفوت انك تناولت طعاماً كثيراً يا راعول وارى ان عسر الهضم فعل معك فعلا عظيما

ثم التفت الى الراهب وقال اما انت يا ابت فاذا انتدبت مرة لسماع اعترافي وكان المنتدب شبحاً فانني ارجو منك ان تتنصل من القيام بهذا الامر لانني سانبئ ذوي بان يقولوا لك دائماً انني متغيب

فخجل الراهب المسكين ثم شخص الى الجميع وقال يسؤني جداً تكدير وقت صفائكم يا سادة وارى ان المسيو راعول غير محتاج الي فها انا منصرف عنكم فصاح راعول كلا بل ابق بل تعال معي الى غرفتي لتتمم واجباً مقدساً لا يثنيني عنه مزح بريفوت ولا ضحك رفقائي

ثم اخذ الراهب من يده وذهب به الى غرفة نومه

فلبث المدعوون مبهوتين وقد آلوا على انفسهم ان لا ينصرفوا حتى يقفوا على ما يتم

وبعد مضي ساعة دخل عليهم الخادم وقال لهم ان راعول اصابه ضعف وهو يعتذر لهم لانه لم يتمكن من موافاتهم

فقال بريفوت حسن . حسن فقل له ان لا يزعج ذاته بالافتكار فينا واننا لقابلون عذره ثم التفت الى بقية المدعوين وقال لهم انكم يمكنكم ان تمكثوا اذا اردتم وتنصرفوا ان شئتم اما انا فباق هنا لاسهر على راعول قالوا ونحن ايضاً قال حسن فعلى كل منا ان يصرف عنده ساعة

وكان راعول قد توسد فراشه ونام . وكانت تنفساته معتدلة ووجهه هادئاً غير ان شفتيه كانتا تتحركان بين حين وآخر كمن يحلم

ودقت الساعة الثالثة بعد نصف الليل

فاندفعت ريح عاصفة والتحفت السماء بالسحب فاحتجب البدر واختفت الكواكب

وحان دور سهر بريفوت . وكان متشوقاً الى معرفة ما اذا كان سيجد شيئ . فجلس في جانب الفراش وهو لا يتخلى بانظاره عن وجه صديقه . وكان هذا اخذ يتقلب وقد اضطربت تنفساته وابدى فجأة حركات اغتصابية عنيفة ثم هدأ وانفتحت عيناه وكانتا جامدتين

وكان بريفوت قد انتصب واقفاً وهو يضطرب اضطراباً شديداً فلم ير ان صديقه هدأ حتى صاح بصوت ابح . راعول راعول . ماذا حل بك . أتريد شيئاً اتوسد ان ... ثم قطع كلامه فجأة وصاح صيحة مزعجة لرؤيا رهيبة تمثلت له

ثم جلس على مقعد خائر القوى وقد اخذ منه الذعر كل مأخذ غير انه لم يخف ما حل به حتى انتصب ثانية بوجه مكفهر وعينين شاردتين ثم اندفع خارجاً كمشعوذ وهو يصيح الي الي يا رفقائي فراعول قد مات

فهرعوا اليه مبهوتين واستفسروه ما وقع . ولكنه ما كان ليسمع لهم قولاً بل جعل يصيح وقد شاهدتها شاهدت والدته وقد دخلت علينا بملابسها المصورة بها ثم اغمضت عيني ولدها بيديها واختفت . ففزعوا ودخلوا الى غرفة راعول فوجدوا انه جثة

. . . . . .

حدث في صباح اليوم التالي ان الاهلين كانوا يتناقلون نبأ موت راعول والجزع مستحوذ عليهم بيد انهم لم يعتموا حتى تلقوا نبأ آخر ضاعف جزعهم وجعل التذمر يتولد بانفسهم وهو ان خطيبة راعول فرت مع مهذب لها وكانت تعشقته

فتذكر حينئذ اصدقاء راعول ما رواه لهم عن والدته وداخل بريفوت توبيخ الضمير على عدم تصديقه ما ذكر فقال لقد مات المسكين وموته هذا انقذه من عذاب ابدي ولعل اليأس كان يتمكن منه فينتحر الا ان روح والدته الساهرة خلصته من العذاب واليأس والانتحار